المحاضرة الأولى:

مدخل إلى النقد الأدبي الحديث 1 (النقد والناقد)

عناصر المحاضرة:

- **تمهيد.**

1- **النقد الأدبي (المفهوم والنشأة)**

2- **علاقة النقد بالأدب.**

3- **وظيفة النقد الأدبي.**

4- **شروط الناقد ومؤهلاته.**

تمهيد:

الأدب في أبسط أطره النظرية فن للكلمة، التي اتخذها الإنسان أداة للتعبير عن الطبيعة والإنسان، وهو تصوير لشعوره وعقله، وحياته المادية والفكرية، والأدب صناعة للكلمة الجميلة، وهو كسائر الصناعات التي تحتاج أهل الاختصاص لتمييزها وتحديد قيمتها، تحت إطار التذوق؛ إذ احتاج منذ نشأته إلى تصور فكري يتصل به ويقوم على وجوده، ويضطلع بمهمة تذوقه وبيان قيمته؛ يطلق على هذا التصور مصطلح 'النقد الأدبي'.

1- النقد الأدبي (المفهوم والنشأة):

لم ترد كلمة (نقد) في القرآن الكريم، ولكنها وردت في الحديث النبوي الشريف ومعاجم اللغة، ومن معانيها:

النقد: خلاف النسيئة، ورد في الحديث الشريف أن: (زيد بن أرقم والبراء بن عازب كانا قد اشتريا فضة ونسيئة، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرهما: أَنَّ مَا كَانَ بِنَقْدٍ فَأَجِيزُوهُ، وَمَا كَانَ بِنَسِيئَةٍ فَرُدُّوهُ)[1].

ويقال النقدان: الذهب والفضة.

والنقد: تمييز صحيح الدراهم وإخراج الزيف منها.

والنقد من ناقدت فلانا؛ إذا ناقشته في الأمر.

والنقد بمعنى العيب؛ ورد ذلك في حديث أبي الدرداء الذي يقول فيه: (إن نقدت الناس نقدوك، وإن تركتهم تركوك)؛ أي: عبتهم واغتبتهم[2].

[1]- رواه أحمد بإسناد صحيح، مسند الإمام أحمد، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ج32، ص60، رقم الحديث 19307.

[2]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، م 3، ص 425 – 426، مادة (ن ق د).

ولعل الدلالة اللغوية الأولى أنسب الدلالات بالمراد من كلمة (نقد) في الاصطلاح الحديث، وفي اصطلاح أكثر المتقدمين، ففيه معنى الفحص والموازنة والتمييز والحكم.

وقد كان التصور الاصطلاحي لمصطلح (نقد) عند النقاد العرب القدامى، تابعا للدلالة اللغوية التي أوردتها صفحات المعاجم، وحسب ما أورده 'محمد بن سلام الجمحي'(ت 232هـ) في طبقاته التي يعدها الدارسون أقدم وثيقة في تاريخ النقد؛ فإن 'خلف الأحمر' (ت 180هـ)، من أوائل من نقلوا دلالة النقد من تمييزا لدراهم إلى نقد الشعر وتمييزه؛ يظهر ذلك في قوله: "وقال قائل لخلف: إذا سمعتُ أنا بالشعر واستحسنته، فما أبالـي ما قلت أنت فيـه وأصحابك، قال: إذا أخذتَ درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف: إنه رديء، فهل ينفعك استحسانك إياه؟"[1]، فقد ربط خلف الأحمر في رأيه بين عمل الصيرفي في تمييز الدراهم و نقدها وصنيع النقاد في تمييز الشعر ونقده.

لكن الملاحظ من خلال هذا النص أن خلف الأحمر لم يورد مصطلح (نقد) في حديثه عن استحسان الشعر وتمييزه، وبالمثل ابن سلام الجمحي الذي عبر عن هذه الممارسة بعبارة (العلم بالشعر)، تتأكد هذه النظرة في قوله: "وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات"[2].

ويبدو أن أقدم محاولة اتخذت هذا المصطلح عنوانا لهذه الممارسة العملية للنقد ووصلت إلينا كانت على يد 'قدامة بن جعفر' (ت337هـ)، في كتابه الموسوم بـ: (نقد الشعر)؛ أين اتخذت الكلمة أوفى مدلولها الاصطلاحي، وقد صرح فيه بمفهومه للنقد قائلا: "علم جيد الشعر من رديئه"[3]؛ فالنقد عنده يعني الكشف عن أصالة الشعر من عدمها، والميز بين جيده ورديئه.

---

[1]– محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، شرح: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني للنشر، جدة، المملكة العربي السعودية، القاهرة، مصر، دط، دت، ج1، ص7.

[2]– المصدر نفسه، ج1، ص 7.

[3]– قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص62.

وإذا استعرضنا جملة الأخبار السابقة تبين لنا أن نقد الشعر وتمييزه قد أصبح واضح المعالم في القرن الثالث الهجري.

أما عند الغرب فإن "اليونان القدماء هم الذين سبقوا إلى وضع أصول النقد وقواعده؛ فقد ظهرت عندهم أقدم صوره، وترقت برقي شعرهم ونثرهم وما وصلوا إليه من حضارة وترف عقلي وعمق في التفكير، هذا العمق الذي جعلهم ينتجون الفلسفة كما جعلهم ينتجون بحوثا مختلفة في الاجتماع والسياسة والأخلاق، وقد بدأ النقد عندهم بدءا ساذجا، ثم أخذ يتعقد شيئا فشيئا حتى أخذ شكله النهائي عند أرسطو"[1].

وقد وقف النقاد عند مصطلح (نقد أدبي) محاولين تعريفه، واتفقت جميع هذه المحاولات في المعنى العام للنقد؛ وهو "فن تقويم النص الأدبي عن طريق ميز الجيد من الرديء، والنفيس من الخسيس من فنون القول بالتقدير الصحيح للمنتج الأدبي، الذي يوضح قيمته في ذاته، ودرجة جودته أو رداءته منسوبا إلى غيره، وذلك بدراسة الأساليب وميزاتها، ومنحى الأديب في تعبيره تأليفا وتفكيرا وإحساسا، مع القدرة على إصدار الأحكام الدقيقة المعللة بالجودة أو الرداءة"[4].

والنقد الأدبي في أدق معانيه؛ هو فن دراسة الأساليب وتمييزها، وذلك على أن نفهم لفظة أسلوب بمعناها الواسع؛ وهو منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على السواء، وتقوم هذه الدراسة على تفسير الأعمال الأدبية وتحليلها وموازنتها بغيرها المشابهة لها، أو المقابلة، ثم الحكم عليه ببيان قيمتها ودرجتها[2].

وهو يقوم "أولا على الكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي، وتمييزها مما سواها عن طريق الشرح والتعليل، ثم يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها"[3]، فأصول النقد قراءة وشرح وتفسير وتعليل ثم حكم.

---

[1]– شوقي ضيف، النقد، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، دت، ص9.

[2]– محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1995م، ص 10.

[3]– محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص 9.

وقد أصبح النقد الأدبي في العصر الحديث نوعا من المعرفة، حافلا بأصول ونظريات وقواعد ومناهج، باتت تتطور وتنضج يوما بعد يوم عن طريق الممارسة والتطبيق، ونتيجة للتفاعل والتأثر، والأخذ من العلوم المختلفة والمعارف الإنسانية كالتاريخ وعلم اللغة وعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة...، وشرع النقد الأدبي لهذا السبب وغيره يؤثر تأثيرا كبيرا في الأدب ونهضته.

2- علاقة النقد بالأدب:

يرتبط النقد الأدبي بالإبداع الأدبي ارتباطا وجوديا، وإن بدا أنه تال له؛ لأن النقد يبدأ مباشرة بعد ولادة النص الإبداعي، والمبدع يمعن النظر قبل غيره في نصه المنتج، وقد يكون هذا النظر بعد كل خطوة أو مرحلة، أو قبل إذاعته للناس، ومتى ما اطمأن إلى إبداعه يقدمه للمتلقي من غير أن يكشف أسراره أو مراحل تكوينه، أو كيفية ولادة فكرته أو تجربته[1].

ومن الناحية الزمنية الأدب أسبق إلى الوجود من النقد، وهذا يعني أن المبدع الأول أسبق إلى الوجود من الناقد الأول أيا كانت طبيعة هذا النقد؛ انطباعية تأثرية أم علمية دقيقة.

"والنقد يرصد الأدب دائما، والناقد يرصد الأدب والأديب دائما، وبهذا تصبح التجربة الأدبية محور الأعمال النقدية، وهذه التجربة الأدبية لم تعد اليوم سهلة ميسورة، فلم يعد العمل النقدي سهلا ميسورا"[2].

ويمكن القول إن الأدب يتصل بالطبيعة اتصالا مباشرا، في حين يراها الناقد من خلال الأعمال الأدبية التي ينقدها، كما أن الأدب ذاتي من حيث إنه تعبير عما يحسه الأديب، وعما يجيش في صدره وفكره من عواطف وأفكار، أما النقد الأدبي فذاتي وموضوعي؛ فهو ذاتي من حيث تأثره بثقافة الناقد وذوقه ومزاجه، ووجهة نظره، وموضوعي من جهة أنه مقيد بنظريات وقواعد وأصول علمية[3].

---

[1]- فائق مصطفى وعبد الرضا علي، النقد الأدبي الحديث 'منطلقات وتطبيقات'، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ط1، 1989م، ص93.

[2]- محمد السعدي فرهو، اتجاهات النقد الأدبي العربي، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة، مصر، 1970م، ص25.

[3]- ينظر: عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1972م، ص264.

ذلك أن النقد الأدبي الحديث "قد تأثر بكثير من العلوم الإنسانية، وجعل ينظر الدراسات اللغوية المتقدمة، ويرقب الأنماط الفلسفية للحياة والمجتمع البشري في الشرق وفي الغرب، ويتكئ بخاصة على الدراسات النفسية والاجتماعية والجمالية"[1].

3- وظيفة النقد الأدبي[2]:

للنقد الأدبي مجموعة وظائف أهمها:

- دراسة العمل الأدبي وشرحه وتفسيره، واستظهار خصائصه الشعورية والتعبيرية، وتقويمه وتقييمه فنيا وموضوعيا.

- تعيين مكان العمل الأدبي في خط سير الأدب، وتحديد مدى ما أضافه إلى التراث الأدبي، ومعرفة مواطن الجدة فيه.

- تحديد مدى تأثر العمل الأدبي بالمحيط، ومدى تأثيره فيه، ومدى استجابته للبيئة والعصر الذي ولد فيه.

- لا يقف النقد الأدبي عند بيان المساوئ والمحاسن وإنما يتعدى ذلك إلى توجيه الأدباء واقتراح ما ينهض بالأدب ويوسع من آفاقه.

- يساعد القارئ على فهم الأدب، ويعينه على تذوقه، ويفتح له مجالا أن يتواصل مع النص الأدبي ويتذوقه، ويكتشف جوانب الإبداع فيه، والإضافة إليه من خلال قراءاته المتعددة.

فالنقد الأدبي يخدم أطراف العملية النقدية (النص الإبداعي، المبدع، المتلقي)؛ فهو يخدم الأثر الإبداعي من حيث تصـــحيحه وتوجيهه وتطويره، ويخدم المبدع بحيث يقربه من القراء

---

[1]- محمد السعدي فرهو، اتجاهات النقد الأدبي العربي، ص26.

[2]- ينظر: عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، ص268، وينظر: مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، مكة للطباعة، دب، 1998م، ص6.

ويكشـــف مواطن تميزه وتفرده، ويقف على أســـرار أعمالـه، ويخدم المتلقي بحيث يعرفه بالمبدعين وإنتاجاتهم، ويرشده إلى عناصر الجمال فيها.

ويمكن القول إن المهمة والوظيفة الأساسية للنقد الأدبي هي تقدير وتقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية، وبيان قيمته الموضـــوعية والتعبيرية والشـــعورية، ومنزلة الأديب وآثاره[1]، ومهمته القصوى الأخذ بيد الأدب والأدباء والقراء إلى خير السبل وأسمى الغايات، والغرض من دراسـته معرفة القواعد التي نسـتطيع بها أن نحكم على القطعة الأدبية من ناحية الجودة والرداءة، والحسـن والقبح، ومعرفة الوسـائل التي تمكننا من تقويم ما يعرض علينا من الآثار الأدبية[2].

إذ "يعني النقد الأدبي بالنص الأدبي تطبيقا وتنظيرا، فهو يتخذ من الإبداع الأدبي مادة له، يعالجها ويحللها ويقومها، ويحاول أن يتوصل من خلال ذلك إلى الأسس الناظمة للنص والإبداع وللظاهرة الأدبية عامة، وهو لا يكتفي بذلك، إذ إنه يسعى إلى تحديد الأسس الناظمة للعملية النقدية أيضا، أي أن النقد الأدبي لا يهتم بدرس العملية الإبداعية الأدبية فحسب بل يهتم أيضا بدرس العملية النقدية والكيفية التي ينبغي أن تتم بها، والطرائق المثلى المؤدية إلى وعي الظاهرة الأدبية"[3]، والغرض من دراسة النقد الأدبي معرفة القواعد التي نستطيع بها أن نحكم على القطعة الأدبية، ومعرفة الوسائل التي تمكننا من تقويمها[4].

وقد "عرف العلماء العرب ثلاث ملكات للأدب: ملكة منتجة تتجلى في الشعراء والكتاب والأدباء والخطباء، وملكة ناقدة تستطيع أن تتبين مواضع الجمال في الأعمال الأدبية، وملكة

[1]– ينظر: حميد آدم الثويني، منهج النقد الأدبي عند العرب، دار الصفاء للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004م، ص 18.

[2]– أحمد أمين، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م، ص12.

[3]– سعد الدين كليب، النقد العربي الحديث مناهجه وقضاياه، مديرية الكتب والمطبوعات، منشورات جامعة حلب، سوريا، 2005، ص 35.

[4]– ينظر: أحمد أمين، النقد الأدبي، ص13.

متذوقة تدرك بنفسها أو بواسطة الناقد، ما في النصوص الأدبية من حسن وجمال، وتلتذ بما تدركه من مظاهر هذا الحسن والجمال"[1].

والعملية النقدية مناطة بشخص الناقد الذي لا يمكن إهمال أهميته في العملية النقدية، والناقد الأدبي هو من يتعرض للنصوص الأدبية شعرا كانت أو نثرا بالدراسة والشرح والتفسير والتحليل والموازنة والتوجيه والتقويم والتقييم والحكم، ولا بد أن يتوفر على جملة شروط ومؤهلات علمية وذاتية، فطرية ومكتسبة، تجعله يستحق صفة الناقد وتؤهله للقيام بعملية نقد النصوص.

4- شروط الناقد ومؤهلاته:

يشترط في الناقد عدة شروط نجملها في أربعة عناصر هي: الذوق، والثقافة، وتمرس الناقد بالنقد وخبرته بالدربة والممارسة، وضمير الناقد الأدبي.[2]

ويعد الذوق الأساس في كل حكم، والفيصل في كل نقد، والموجة في كل تقديم؛ والذوق هو ملكة موهوبة واستعداد فطري ومكتسب، لا غنى عنه للناقد إذ يمكنه من التعرف على مواطن الجمال أو القبح فيما يعرض له من النصوص، والذوق ذوقان: عام وخاص؛ فالذوق العام هو ما كان شائعا بين أبناء الجيل الواحد في البيئة الواحدة وفي البلد الواحد، إذ يتأثرون بظروف واحدة مشتركة، وقد يمتد هذا الذوق إلى خارج بيئته إلى بيئة أخرى يكون بينهما مقدار من التشابه والتوافق، والذوق الخاص هو ما كان مظهرا ومرآة صادقة لصاحبه لا تعكس سواه، فهو يتأثر بالشخصية الفردية ويتأثر بالذوق العام، هذا ويصقل الذوق بأصول أهمها العقل المتزن، والعاطفة، والثقافة[3].

فلا بد للناقد أن يكون ذا طبع موهوب؛ حتى يستطيع أن يبين للناس ما أدركه هو من أسباب الجمال في الأدب وإلى جانب ذلك هو بحاجة إلى قدر من الذكاء أو القريحة، ومن شروطه الثقافة الواسعة[4]، والإلمام بضروب من المعرفة والعلوم التي تعينه على الإحاطة

---

[1]- عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، ص269.

[2]- مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص9.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص9- 10.

[4]- عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، ص269.

بالنص، وتكون الأحكام حوله ذات قيمة، ولم يغفل النقاد القدامى ذلك التأثر، وهذه الشروط، التي ارتبطت في بعض منها بشخصية الناقد وموهبته وذكائه.

فالناقد الحق هو "الذي صقلت مواهبه الاختبارات، وروضت خبراته المطالعات، ونمت حواسه التدريبات، فهو القادر على التمييز بين الإيقاع السليم والنغم النشاز الخارج عن المألوف، والناقد الحق أيضا هو الذي يتأثر ويؤثر"[1]، وفي المقابل متى ما افتقد الناقد إلى هذا الشرط يفتقد نقده إلى "الفاعلية والإضافة والإبداع، مهما تمتع بحدة وذكاء، ورهافة حس، وسلامة ذوق، وسعة أفق، ونقاء طبع؛ فالنقد في أساسه بناء ثقافي يرشح في قلم الناقد بمقدار ما يتزود به من زاد"[2]، والثقافة هي التي تجعل الناقد أهلا للحكم على النصوص الإبداعية وتوجيهها.

كما يقوم اكتسابه على مؤهلات تعينه على صقل ذوقه واتساع ثقافته وتنوع أدواته القرائية؛ لتتناسب مع اتساع ميدان ممارسته النقدية، وتعقد النصوص الأدبية، وتعدد الاتجاهات النقدية، وتشمل تلك المؤهلات تمرس الناقد بالنقد، وخبرته أو دربته وممارسته؛ من خلال دراسة اللغة القومية والإحاطة بعلومها، ومعرفة خصائص تراث الأمة وتاريخها، والاطلاع على العلوم الإنسانية والفلسفة والدين، وإدامة النظر في النصوص الإبداعية، فالقراءات الكثيرة للنصوص والأجناس الأدبية المختلفة من شعر ومقالة وخطبة وقصة ومسرحية، هي التي بها يميز الناقد بين أسلوب وأسلوب، ومعجم شاعر ومعجم شاعر آخر، ويوازن بين خيال وخيال، وصورة وصورة [3]، إضافة إلى مواكبته حركة الأدب والنقد وما جد فيهما من مفاهيم ونظريات ومناهج ومصطلحات، وهذا ما يمده بأدوات القراءة والتحليل والحكم.

أما ضمير الناقد الأدبي فيعني أن يتوخى الناقد في نقده وجه الحق، ويتجه إلى ما يرى أنه الصواب، ويتحرى الموضوعية في أحكامه، ويبتعد عن الذاتية، فلا يجامل الأصدقاء

---

[1]– حسين الحاج حسن، النقد الأدبي في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص7.

[2]– صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أفريل، بنغازي، ليبيا، ط1، 2005، ص 221.

[3]– ينظر: مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص17، وينظر: فائق مصطفى وعبد الرضا علي، النقد الأدبي الحديث 'منطلقات وتطبيقات'، ص43.

والأنصار، ولا يتحامل على الأعداء والخصوم، وضمير الناقد، وتوخيه الموضوعية والعلمية، وابتعاده عن المؤثرات الشخصية أهم أركان النقد الأدبي، وأهم شروط الناقد؛ إذ بدونه لا تجدي المعرفة ولا تنفع التجربة، ولا يصح الحكم، ولا يعتدل الميزان[1].

تلك هي أهم شروط ومؤهلات الناقد، ويختلف النقاد فيما بينهم باختلاف إدراك هذه الشروط والحرص على مراعاتها وهو ما يمنحهم التميز، والقدرة على أداء العملية النقدية بأسسها العلمية ومراحلها المنهجية.

[1]- مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص21.